

مفاهيم القرآن

(83) يَوَدُّوا لَوْ أَنزَلَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبِيَائِهِمْ وَلَا يَكُنُوا فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا إِلَّا سَعِيًّا (الأحزاب: 20-21). وهذه الآيات; تشرح بصراحة ما عليه جماعة كثيرة من أصحاب النبي ولا تختص بالمنافقين; لقوله سبحانه: (إِذْ جَاءُوكُمْ . . مِنْ فَوْقِكُمْ . . وَمِنْ أَسْفَلَ مَذْكُومٍ) وقوله سبحانه: (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) عاطفاً لها على المنافقين فقال (وَالَّذِينَ) ولم يقدّم (الذين). نعم كانت في صحابة النبي ثلة جليلة بالغة منتهى الإيمان والعمل، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: (وَلَمَّا رَأَى الْأُمِّيُّونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْأُمِّيُّونَ الَّذِينَ رَجَلُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: 22-23). إجابة عن سؤال ولعل القائل يقول: بأنهم كيف لم يبلغوا الدرجة الكاملة في أمر القيادة مع أنهم; حطّوا امبراطوريتين كبيرتين، وبنوا فوق أنقاضها صرح الإسلام، أضف إلى ذلك; أن الله سبحانه وصفهم في سورة الفتح بقوله: (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) (الفتح: 29). فهو يدل على كفاءتهم في أمر القيادة والاعتماد على أنفسهم; حيث شبّهم بالزرع المستغلظ القائم على سوقه. ولكن الإجابة على هذا السؤال سهلة بعد الوقوف على ما ذكره: 1- إن التسلّط على الامبراطوريتين لم يكن نتيجة قوة القيادة وصحتها، بل كان لقوّة تعاليم الإسلام; أكبر سهم في نفوذهم وسيطرتهم عليهما، حيث كانت التعاليم بمجرّدها تسحر القلوب، وتجذب العقول وتفتح الطريق خاصّة بين تلك الشعوب التي طالما عاشت الضغط والحرمان، وعانت من الظلم والاضطهاد المرير.